رواية العمرين

تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم الخوري حنا طنوس † — غرزا

عمرو بن هند	
عمرو بن كلثوم	شاعر تغلب
زهير	ابنه
الحرث بن حلزة	شاعر بكر
ظليم	ابنه
عبد المدان	ربيب زهير
خالد	
نكير (المتلمس)	
ابن سنمار	
السجان	
المغني	
مرّه	
اعمى	
جنود	

بين أعلام اللبنانيين الذين طوافم الربع الثاني من هذا القرن ، كان تفوق في العديد من ميادين المعرفة واسهم في انشاء جيل وقيام نهضة . ان الكثيرين منا لا يزالون يذكرون الخوري حنا طنوس وما امتاز به من فكر خلاق وخيال خصب وشاعرية مبدعة .

لقد جمع في شخصه بين فنون الأقدمين وعلوم عصره . لكنه اشتهر على الأخص بالفن المسرحي حيث حقق في أعمال الأجواء تاركاً روائع تفتحت عنها عبقريته ونبوغه . وحسبه أنه أول من ألف بلغة البلاد الرواية المسرحية في وقت اقتصر فيه التمثيل على التراجم الاجنبية . وقد أصغى عليها مسحة وفعت المسرح العربي الى المرتبة الخليقة به .

واليوم ، مع إطلال عام ١٩٦٦ ، تنقضي مئة سنة على ميلاد من اوحد صحوة لبنانية حقة في التأليف المسرحي . لذلك يفكر فريق من الأدباء في احياء ذكراه باقامة اسبوع تذكاري له وتنذر كل الجمعية اللبنانية أعربت عن عزمها على إحصاء رواياته ونشرها .

أما عدد الروايات التي عددها بريز على الثلاثين ، فشيء ما هو تأليف وشيء ما هو تعريب . إلا ان القسم الأوفر منها ما زال مخطوطاً . ويتناول معظمها مواضيع شرقية بعضها مستمد من صميم تاريخ لبنان والعرب : مثل البطل المجهول والحرير لك حملوا وأمير الأرز . والسجناء الخمس ، والمحررين ، وشهداء نجران ... و«داحس والغبراء» و«سيدة قصرين» و«يوسف بك كرم» و«المقتل اللبناني والدهاء العثماني» .

ورواية «المحررين» التي ننشرها فيما يلي انما هي برهان ساطع على مقدرة المؤلف الفنية على خلق الثقة والحوار والمناخ والزمن التي تتلاءم وموضوعه . فكأنك ، وأنت تطالع «المحررين» ، تعيش في جو عربي أصيل يدور فيه الخلاف بين ملك الحيرة وشاعر تغلب . وما ذلك سوى إحدى الميزات التي اتسم بها الطابع المسرحي لمن كان يحق مربي جيل وباعث فن ورائد نهضة .

(الشرق)

الفصل الاول

المشهد الاول

(احدى قاعات الخورنق)

(عبد المدان في طرف المسرح) (زهير في الطرف الآخر)

عبد المدان : (واقف ــ باسط يديه الى السماء) آمنت بالذي رفع السماء، وبسط الفضاء، وفصل بين الماء والماء . له يسبح لساني في الصباح وفي المساء ــ (ثم يخر ساجداً ويقبل) سجد وجهي للذي خلقه وهو جاشم، وما جشمني من امر فاني جاشم .

(وينشد) ان تغفر اللهم تغفر جمّا واي عبد لك ما المّا

(يبقى واكماً باسطاً يديه)

زهير : صلي حبل الوصال ومتعينا بروئيـة آلنـا أو ودعينا
حياة الذل يحسبها حيـاة اساقلنـا واحسبها منونا
اعد العز في سقر سماء وذلي في السما سقرا وهونا
دعونا آل تغلب من بعيد وعلينـا اختاف ليسمعونـا
ايا عمرو العلاء اعن وليدا فسعيك للعلى في ان تعينا
فما من سامع منهم نداء ومـا احد يجيب اخاتفينـا
فان سكت الاراقم ليت شعري فيـا ارض الجزيرة كلمينا
فيـا رب الخمائم بلغيهم دعـانا ثم عودي جاوبينا
وقولي لابن كلثوم المندى فتاك فتاك يـا ابن الاعجدينا
فتاك وعزك الاسنى زهير غدا في السجن مأسورًا رهينا
فهل ترضى بذل يا ابن ليلى ونفس الشهم تأبى ان تهونا

عبد المدان : (ينهض عند آخر الشعر ويقوم اليه)

زهير الخير لا تجزع تجلد فان الله يجزي الصابرينا
وان الشمس تطلع بعد ليل مشعشعـة تنير العالمينـا
وان الصحو يعقب في سمانا غيوماً لبدت في الجو حينا
كذاك اليسر يأتي بعد عسر فينعش قلب قوم يائسينا
فـان اباك طلاع الثنايا وان اباك ملجا اللائذينـا
وليس السجن عارا في البرايا اذا لم تقترف ذنباً مشينا
اذا سكن الغضنفر بيت ضبّ يصير البيت مسكنـه عرينا
وما انت السجين ايا ابن عمرو رهيناً كنت ما كنت السجينا

زهير : اي عبد المدان ، قل لي بحقك ، ما حمل ابي على ان يبعث بي رهناً الى انخورنق ؟

عبد المدان : لما طالت حرب البسوس التي اثارها جاس بن مرة بين بكر وتغلب ، بقتله كليباً ، اعز العرب ، وكان المهلهل ، جد ابيك ، قد اسرف في القتل ، وكادت القبيلتان تتفانيان . نهض عمرو بن هند ، وهو جبار ، عظيم الشأن والملك ، وجمع بكراً وتغلب ، ابني وائل ، واصلح بينهم ، واخذ من الحيين رهناً ، من كل حي مائة غلام ، من اشرافهم واعلامهم ، ليكف بعضهم عن بعض ، وشرط بعضهم على بعض ، وتواثقوا

على ان لا يبقى واحد منهم لصاحبه غائلة ، ولا يطالبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء .

زهير : ذلك اعرفه . وقد كان اولئك رهنا يصحبون عمراً في مسيره ؛ ويغزون معه . فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه ؛ افاد حق الرهن .

عبد المدان : فسرّح عمرو بن هند ركباً من بني تغلب وبني بكر الى جبل طي ؛ في امر من اموره . فنزلوا بالطرفة ؛ وهي لبني شيبان وتيم احلاف بني بكر . فاجلى البكريون التغلبيين عن الماء وحملوهم على المعازة فماتوا عطشاً .

زهير : اما بكر فتزعم انه قد اصابتهم حموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . هذا ما اعرفه . ولكني انما أسألك عن سبب ارتهاني في هذا القصر .

عبد المدان : فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا ديات ابنائهم من بكر . فأبت بكر بن وائل اداءها .

زهير : فاجتمع بنو تغلب لحرب بكر بن وائل واستعدت لهم بكر . اني اعرف القصة الى هنا . ثم رأيت نفسي في قصر الخورنق صحبة ربيبي عبد المدان . وهذا ما احب الوقوف على سببه .

عبد المدان : فلما انتفت جموع بني وائل ، كره كل صاحبه ؛ وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت . فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح وتحاكموا الى الملك عمرو .

زهير : ولمن حكم الملك اليس لتغلب ؟

عبد المدان : فقال عمرو : ما كنت لاحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل ؛ فاجعلهم في وثاق عندي ؛ فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم ؛ وان لم يكن لهم حق ؛ خليت سبيلهم .

زهير : وحق ربيعة ، او انا من اشراف بكر الست زهيرا بن عمرو بن كلثوم التغلبي ؟

عبد المدان : فقبلت بكر بما طلب اليهم ، ولكنهم طلبوا ان يؤخذ من تغلب ابن سيدهم ؛ ومن بكر ابن سيدهم ؛ ليكونا رهناً عند عمرو بن هند الى ان يتم الصلح .

زهير : ورضي ابن عمرو بهذا الذل ؟ !

عبد المدان : ان اباك اعز الناس نفساً، واكثرهم امتناعاً؛ وما هذا شين. انما العز في ان يضحي العزيز بولده في سبيل عشيرته .

زهير : اتقول صدقاً يا عبد المدان ام تعزّيني ؟

عبد المدان : ما قلت الا الصدق .

زهير : ومتى يكون الحكم بين العشيرتين ؟

عبد المدان : هذا اليوم .

زهير : كيف يكون الحكم اليوم ولم يحضر احد من الخصوم ؟

عبد المدان : لا يلبث ان يحضروا: فقد رأيت الساعي نكيراً المقنع داخلاً على عمرو بن هند .

زهير : من هذا الساعي نكير ؟

عبد المدان : رجل ينتسب لقوم، فتقدم لخدمة عمرو من شهر. وهو مقنع لعاهة في وجهه على ما يقول .

زهير : لعله عدو ماكر يغتال الملك على حين غفلة .

عبد المدان : لا يدخل على الملك الا اعزل والحرس تسهر ليلاً نهاراً على رأس عمرو .

زهير : اني ارى رجلاً متنعاً مقبلاً علينا .

عبد المدان : لعله نكير يحمل الينا البشائر. (يدخل نكير)

المشهد الثاني

(عبد المدان ، زهير ، نكير)

نكير : نكير حامل اليكم بشائر خير .

زهير : وما وراءك يا نكير ؟

نكير : ورائي عمرو بن كلثوم سيد تغلب في اشراف قومه .

زهير : أبي آت بساداب تغلب، فواطربي فواطربي. ومتى سيبلغون القصر ؟

نكير : قد بلغوا اليه بوقت واحد هم والبكريون يقودهم الحرث بن حلّزة .

زهير : أبي في القصر، فيا لسروري، يا لفرحي، يا لغبطتي ؛ يا لهنائي. فاني اسرع اليه، بل اطير على جناح الشوق والحب، هلمّ يا عبد المدان، ثم ابشر صديقي ابن الحرث بقدوم ابيه .

المشهد الثالث

(نكير وابن سنمار)

نكير : (يرفع عن وجهه البرقع) يا يوم ثأري طال احتجابك عني ؛ يا حسام انتقامي . متى يصبغك غضبي بدم خصمي . يا ابن هند ؛ انكرت نديمك المتلمس . غيرته غير الزمان وخطوب الحدثان فخفيت عليك معرفته .

ابن سنمار : (يدخل مسرعاً اليه) : أو انت المتلمس يا نكير .

المتلمس : (يرجع البرقع باسرع من لمح البصر) . أمسّك جنّ ام عراك جنون ؟ مضى المتلمس بصحيفته .

ابن سنمار : سمعتك ؛ فلا تحاول الانكار ، على ابن سنمار ؛ فقد كان يردد على اني قوله :

بنيّ ان آخيت فكن كالمتلمس وان عاديت فكن كالمتلمس.

المتلمس : انت ابن سنمار ؛ رحم الله سنمارا . كان ابوك اوفى الناس ذمة ، واصدقهم عهداً ، واخلصهم مودة ، وجوزي شرّ جزاء .

ابن سنمار : الست المتلمس نديم عمرو بن هند وشاعره صاحب اني ؟

المتلمس : اذا كنت انت ابن سنمار ، فانا جرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس .

ابن سنمار : يا عزائي ورجائي من الناس كلهم . عليك وضعت اعتمادي لاخذ ثأري . قتل ابن هند ابي من غير ذنب .

المتلمس : ان ثأري اعظم واكبر .

ابن سنمار : وما ثأرك ؟

المتلمس : كنت في منادمته مع ابن اختي طرفة بن العبد البكري ؛ فساءنا يوماً ؛ فهجاد طرفة ، وهجا عبد عمرو ؛ فوشى به العبد الخائن .

ابن سنمار : وشى به وهو ابن عمّه ؟ واين حرمة النسب ؟

المتلمس : اللئيم لا يراعي حرمة القرابة ولا يحفظ حق الصداقة .

ابن سنمار : وما فعل عمرو ؟

المتلمس : دعانا وقال لنا : لعلكما اشتقتما الى اهلكما ، واحببتما الانصراف من عندي . قلنا له : نعم ! فصرفنا من عنده وناولنا

كتابين الى المكير عامله على البحرين . ففتحت الكتاب واذا به : « باسمك اللهم : من عمرو بن هند الى المكير ، اذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيّا .

ابن سنمار : يا للامر الفظيع !

المتلمس : فالقيت عند ذلك الصحيفة في النهر وقلت لابن اختي : يا طرفة . معك والله مثلها : فقال : كلا... ثم جاء الى المكير فقطع يديه ورجليه ودفنه حيّاً .

ابن سنمار : يا لقساوة تقصر عنها الأبالسة ! وما اتيت تصنع هنا ؟

المتلمس : جئت متنكراً باسم نكير ، وجعلت نفسي ساعياً عند عمرو ، لاسعى الى حتفه العاجل . واروي غليلي بموته وادرك ثأري .

ابن سنمار . وانّى لك السبيل الى ادراك ثأرك وعمرو امنع من عقاب الجو ؟

المتلمس : هذه ساعة المحاكمة بين تغلب وبكر . وعمرو بن هند يميل الى بكر ، فيحكم لهم على تغلب فانتهز انا غضب سيد تغلب ما استطعت . مطلعاً اياه على جميع فظائع ابن هند ، وقد جمعت رجالا ممن اساء اليهم ابن هند استعين بهم على بلوغ مأربي .

ابن سنمار : وهكذا تثأر لي ولك .

المتلمس : ولامة العرب جمعاء اثأر .

بهذا اليوم ادرك كل ثأري ... وثأر العرب طرّا اجمعينا
اثير عليك تغلب يا ابن هند ... وسيدهم ملاذ اللائذينا
واستدعي لثأري كل جنّ ... واستدعي ابالس ماكرينا
حسبت الناس كلهم عبيدا ... وما استثنيت يا ابن الخائنينا
فنحن العرب سادات البرايا ... وحاشا أن نكون محترينا

(بعد الاشعار يسمع غناء) .

ابن سنمار : اسمع غناء فان الملك آت . (يخرجان) .

المشهد الرابع

(الملك وحاشيته – تنشد عند دخول الملك)
(عمرو بن هند – خالد – مرّه)

عمرو بن هند : (لجلسائه) من ترون تأتي به تغلب لمقامنا هذا ؟
خالد : شاعرهم وسيدهم ، عمرو بن كلثوم اعز الناس .
عمرو بن هند : فبكر بن وائل ؟
خالد : لا تفرج بكر بن وائل الا عن الشيخ الاصم يعتز في ربطته تيهاً ، فيضعها على عاتقه ، اعني الحارث بن حلزة .
عمرو بن هند : من افضل السيدين ؟
خالد : الحرث افخر العرب ، وعمرو بن كلثوم ، اعز العرب نفساً واكثرهم امتناعاً وانفاهم حسباً .
عمرو بن هند : هل تعلمون احداً من العرب تأنف أمه من خدمة امي ؟
خالد : نعم ، ام عمرو بن كلثوم .
عمرو بن هند : ولِمَ ؟
خالد : لان اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها بن وائل اعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه .
عمرو : وهل تعرفون احداً من العرب يأنف من ان يخضع الي متذللاً ؟
خالد : عمرو بن كثوم .
عمرو بن هند : سوف تعرف عزة آل كلثوم بعمرو وابنه زهير .

المشهد الخامس

(يدخل عمرو بن كلثوم مع قومه) (والحرث بن حلزة مع قومه)

عمرو بن كلثوم: (داخل) الا هبوا وحيوا الملك عمرا .
الحرث : (وهو داخل) ملك اخضع البرية لا يوجد فيها الا ما يسديه الثناء ؛ ملك عادل وافضل من يمشي ، ومن دون ما لديه الثناء.
الجميع : حيا الله الملك .
عمرو بن هند : حيا الله وجوه تغلب وبكر بن وائل ؛ نزلتم على الرحب والسعة ، والدار لكرام القوم موسعة ، لصالح العشيرتين دعيتم

وليتم ، وعرفت لكم حسن الصنيع . واقتمونا حكماً ورضينا ، فاسمعونا ما يرضينا .

عمرو بن كلثوم : (للحرث) يا اخا الوضح ، جاءت بك اولاد بكر تفاضل عنهم وهم يفخرون عليك .

الحرث : وعلى من اظلّت السماء كلها يفخرون ، ثم لا ينكر ذلك .

عمرو بن كلثوم : اما والله لو لطمتك لطمة لما اخذوا لك بها .

الحرث : والله لو فعلت لما افلت بها انت ومن فضلك .

عمرو بن كلثوم : ان لنا عليكم لحقاً .

الحرث : انكم على باطل .

عمرو بن كلثوم : غدرتم يا بني بكر . ونكثتم العهد ، وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء واجليتم ....

الحرث : انتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعضيهة ، وأسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا .

عمرو بن كلثوم : تحاكمنا اليك يا ابا هند ، فانصف بيننا ، ابيت اللعن ، ولا عراك ذم .

عمرو بن هند : حمل الي سبعون رجلاً من اشراف بكر ، فجعلتهم في وثاق عندي . فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم وان لم يكن لهم حق ، أخليت سبيلهم — وان ولديكما ، يا عمرو ، ويا حارث ، رهن عندي الى ان يتم الصلح . وبما انه ليس لفريق بينة على الفريق الآخر ، فلقد اقمت الشعر بينكم حكماً وفاصلاً . قم يا عمرو ، وانشدنا في قومك مرتجلاً .

عمرو بن ابا هند فلا تعجل علينا ... وامهلنا نخبرك اليقينا

كلثوم : بان نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

متى ننقل الى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا

اليكم يا بني بكر اليكم ... الما تعرفوا منا اليقينا

الما تعلموا منا ومنكم ... كتائب يطعنّ ويرتمينا

نزلتم منزل الاضياف منا ... فعجلنا القرى ان لا تشتمونا

غدرتم يا بني بكر غدرتم ... نقضتم عهدنا يا غادرينا

اذا عدّوا المفاخر بين قوم ... سراة الناس كنا الأولينا

ونوجد نحن امنعهم ذمارا ... واوفاهم اذا عقدوا يمينا

وكنا الايمنين اذا التقينا ... وكان الايسرين بنو بنينا
فصالوا صولة في من يليهم ... وصلنا صولة في من يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا
ترانا بارزين وكل حيّ ... قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كانا والسيوف مسلسلات ... ولدنا الناس طرًا اجمعينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
ملانا البرّ حتى ضاق عنا ... وظهر البحر نملأه سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنا صبيّ ... تخرّ له الجبابر ساجدينا

عمرو بن هند : قم يا ابن حلزّة وذد عن حوض قومك

الحارث: ايها الناطق المرقش عنا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا مذللين فانا ... طالما قد وتى بنا الاعداء
فبقينا رغم الوشاة تعلينا ... حصون وعزّة قعساء
تخلطون البري منا بذي الذنب ... ولا ينفع الخلي الخلاء
فاتركوا الزور والتعدي ولا ... تتعاموا ففي التعامي الداء
واذكروا عهدكم قديمًا ... وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذار الجور والتعدي وهل ... ينقض ما في التحالف الاهواء
ايها الفاخر المبالغ مهلا ... عند عمرو وهل لذاك انتهاء
انسيتم لما دعاكم وقلتم ... لا ولا هل نحن قوم رعاء
فغزاكم مليكنا شر غزو ... كان لا رأفة ولا ابقاء
هل نسيتم ايام ينتهب الناس ... انتهابا لكل حيّ عواء
حين ملنا على تميم فاسرفنا ... وفينا بنات قوم اماء
كم قتلنا منكم رجال وغى ... ايام كان الوغى لنا واللقاء
فكفانا كهيا وكبرا فمن حدثتموه ... له علينا العلاء
وفعلنا بكم كما علم الله ... وما ان للهالكين دماء
يا بني تغلب كفانا فانا ... تعلن الارض فضلنا والسماء
وكفانا فخرا بان لنا العقل ... شهيد وانتم الادعاء
اين فضل الشعوب من فضل بكر ... عند عمرو بل اين منا استواء
من لنا عنده من الخير آيات ... ثلاث في كلهن القضاء
حين وافى قصد القتال جموع ... من معدّ لكل حيّ لواء

فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء
وفككنا غلّ امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وفعالا للمجد مني فعلنا ليس يحصي حجمها الاحصاء

عمرو بن هند : لك درّ ابن حلزة مدح عمرو قومه بالاقوال ؛ وعظم الحرث ذويه بالفعال. انقاد ابن كلثوم الى عواطف القلب ؛ والعواطف ترمي الى المغالاة والاغواء . واستنار ابن حلزة بمصباح العقل والعقل يهدي الى الحق والهدى . التغلبي اصرل واقول ؛ والبكري اعقل وافعل . عمرو في الكلام ابلغ وفي النظم أشعر . والحرث في اداء الادلة احذق . وفي ترجيح الحجة امهر . رصع التغلبي معلقته بضروب البيان من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه . ودعم البشكري خطبته باصناف البرهان والتبيان من تبرئة وتأثيم وتذليل وتعظيم . ذكر التغلبي مآثر تغلب ومآثرهم ترفعهم . ولم يذكر لبكر معايب فيضعهم . وذكر البكري مناقب بكر ومثالب تغلب فرفع بكرًا ووضع تغلب . ادنُ مني يا حرث وصافح يدي يا اشعر الشعراء (يدنو الحرث يصافح الملك) قد وهبت لك السبعين بكريا الذين كانوا رهناً عندي ووهبت لك ولدك النجيب .

واما انت يا زهير فتبقى رهناً عندي وفقاً للعهود والمواثيق . (يتطاير الغضب في عيني عمرو ولكنه يضبط نفسه) .

زهير : ركبت الشطط في حكمك ايها الملك وما انصفت .

عمرو بن كلثوم : تعديت طورك يا بني فالزم حدود الأدب .

عمرو بن هند : لو لم يكن لك معذرة في حداثة سنك وشفاعة في مكانة ابيك، وحرمة الجوار ؛ لاقتصصت منك اقتصاصاً لم يقتصه ملك عادل من سفيه جاهل . وانت ما يدريك الشعر اي شيء هو ؟

زهير : نحن بني تغلب نولد جميعنا شعراء ولا يسوغ ان يحكم بين الشاعرين الا الشاعر . ان شاعر تغلب جواد يجري في مضمار الشعر فلا ينقطع نفسه حتى يبلغ الغاية سابقاً . وشاعر بكر منقطع الانفاس يلهث عياء في الحلبة ولا

يصل الى الغاية الا جاهداً سكيناً .

ظليم : شاعر تغلب يقرع الاسماع ببهرجة الالفاظ والمباني . وشاعر بكر يملأ العقول بسديد الافكار والمعاني. شاعركم نسمع له جعجعة ولا نرى له طحناً . وشاعرنا نرى له طحناً ولا نسمع له جعجعة .

زهير : شاعرنا رجل بأس وحماسة : اذا استعرت في صدره نار الحمية اثار اشرارها في صدور سامعيه ، فتفكروا كما يفكر . وشعروا كما يشعر . فكأنهم والشاعر كثيرون في واحد . بل واحد في كثيرين . فان طرب يطرب ، وان غضب يغضب . وان فاخر يعجب . وان غالب يغلب . وشاعركم شيخ بردت همته ، وخمدت حميته ، فعمد الى الدهاء ، والدهاء سلاح العاجز . فذكر احاديث مر عليها الدهر وانطلت حيلته على الملك عمرو .

ظليم : الى الحيلة والدهاء لا يعمد من كذب وفند . ذكر ابيك لقومه مفاخر ومآثر زاعماً واهماً قائلاً لا داعماً ، ففند ابي تلك المزاعم بايراد الحوادث والشواهد . ابي لم تخمد حميته . ولم تبرد همته ، لكنه رأى نار الحمية الفارغة استعرت في صدر ابيك فصب عليها ماء التبكيم البارد ليطفئها .

زهير : ابي نفسه ابية تأبى التمليق . فلم يتصاغر امام الملك متذللاً مادحاً مملقاً ذاكراً مخدم قومه ، كما فعل الحرث . فلم تفضل الحارث ايها الملك الا لانه مدحك وذكر نجدات قومه لقومك . وذكر اني ايضاً خذلان تغلب للملك .

ظليم : قوم ابيك يخذلون الملك في جميع احواله ، وقوم ابي ينصرونه في جميع اعماله . فأي القومين افضل عند الملك في رأيك ؟

زهير : لكن اين نفس الشيخ البطيء المتثاقل من نفس الفتى المتحمس . اين وقفة المؤرخ الجامد من وقفة الشاعر المتهوس . الحرث متحير مسهب . وابي منشد مطرب .

ظليم : ليس المقام مقام انشاد وطرب واعجاب ، بل مقام اثبات وحجة وبرهان وهل الحمية في مقامنا افضل ام الروية .

زهير : من جمع في شعره الفخامة والجزالة الى السهولة والسلاسة . الا تعلم ان الشعر صورة الشاعر . الا ترى نفس ابي مصورة في

كل بيت من قصيدته فقوة شعره شدة وقوة ومتانة التراكيب هي متانة عزمه .

ظليم : من جمع في شعره تفنين الشاعر وتروي الحكيم . الم ترَ في كل بيت من قصيدة ابي خبرة الشيخ المحنك وفطانة الحكيم المتروي ؟

زهير : من جمع في موضوع واحد شتات المعاني المشتتة وضمها الى معنى واحد ؟ اي مزية يفتخر بها الاقوام لم تدخل في قصيدة ابي؟

ظليم : واي فضيحة تسب بها القبائل وتعير بها العشائر لم يلمح اليها ابي الحرث ؟

زهير : فقد حوت معظومة ابي القوة والجمال والفضل والكمال والحسب والنسب والنفوذ والاباء والكرم والخصال الشماء والشجاعة والاقدام وكل ما يعظم الاقوام بابدع الكلام .

ظليم : وخطبة ابي حوَت عقلاً راجحاً وسهماً جارحاً وفخراً مادحاً وهجاء قادحاً .

عمرو بن هند : كل فتاة بأبيها معجبة . لقد اتيت يا فتى عن حسن بيان وبلاغة منطق . لكنك تطاولت الى ما فوق قامتك ، وارتفعت الى اعلى من هامتك . على ان حكمنا باق . تبقى رهيناً عندنا حتى يتبين لنا عز ابيك وفضل ذويك . اتبعني يا زهير .

زهير : ان رضي عمرو بذلك رضيت .

عمرو بن كلثوم : اتبع الملك يا بني والله يفعل ما يشاء ويريد .

المتلمس : (وهم خارجون) هـذا رجل ثأري فعلي بحضور مظلومي ابن هند لديه (يخرج الجميع) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم — مرّة — ثم نكير — والاعمى — وابن سنمار)

عمرو بن الا لا يعلم الاقوام انا تضعضعنا وانا قد وزينا
كلثوم: الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تعامل بالجفا فخر البنينا

مرّد: عجبت لك يا عمرو ، ما قلت حرفاً في وجه ابن هند ولا فُهت بكلمة في سبيل زهير ، أأرهبتك سطوته ام افحمتك صولته ؟

عمرو بن كلثوم : لست رجلاً تفحمه صولة او ترهبه دولة . لكني لا اتذلل لابن هند في ولدي. ولسوف اظهر عليه بالحق الناصر او بالسيف الباتر .

بكير : (وهو داخل) مظلومون ظلمهم الظلام اتوا يتظلمون الى رجل المروءة والحمية .

عمرو بن كلثوم : من الظالم وما الظلامة ؟

بكير : الظالم عمرو بن هند. والظلامات ما ها هنا. تكبر عمرو وتجبر . وبغى وطغى . فلم يحفظ للعرب كرامة ولا رعى للعباد حرمة. حطّ من قدرك يا ابن كلثوم يا سيد العرب وخفض من شأن بنيك وهضم حق عشيرتك اذ آثر خطبة اخرث على منظومتك حسداً وبغضاً .

عمرو بن كلثوم : اوّ هذه كل ظلامته ما ظلم من حكم كما علم .

بكير : سمعت عمرو بن هند يقول : آليت على نفسي ألية ان اجدع كل انف شامخ واخفض كل رأس عال واذلل كل عزيز واقوم كل خد مصعّر . لقد انفت نفسي من انفة العرب وسئمت من إبائهم .

عمرو بن كلثوم : ان قامته اصغر وقوته احقر ويده اقصر من ان تنال عزة العرب او تلين قناتهم .

فان قناتنـــا يا عمرو اعيت على الاعـــداء قبلك ان تلينا
تهددنا وتوعـــدنا ، رويدا متى كنـــا لأمك خادمينـــا
اذا مـــا الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقرّ الخسف فينـــا

بكير : طالما سامنا عمرو بن هند خطة الخسف والهوان . وأقمنا على الذل والضيم وما قام منا سيد عزيز يذود عن حوضنا المغارم ويبعد عن فنائنا المظالم وينصر المظلوم على الظالم . مـــا ذنب طرفة بن العبد حتى بعث بكتاب الى المكير فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً . وما جريرة المتلمس حتى حمله حقده على كفه وكاد يكون نصيبه نصيب طرفة لو لم يُلق

الصحيفة في الماء وينجو بنفسه ؛ وهو الآن هائم على وجهه لا تثقف الناس له على اثر .

ابن سنمار : وما جناية ابي سنمار حتى القى به من اعلى القصر فترضض لحمه وتحطم عظمه وتهشم جسمه اذ بنى له هذا الخورنق الشاهق فكان جزاؤه ان قذف به من حالق حتى لا يبني مثله لغيره من الخلائق .

اعمى : (يدخل اعمى) وانا الكنيف المسكين . ما ذنبي حتى فقأ عيني وحرمني نور الشمس وخلف صبية وراءي لا سند لهم ولا معين . نظرت اليه محدقاً فصرخ بطاهيه : الي بنصل محمي . وما شعرت الا واحر من الجمر بعيني فصرخت وصحت وولولت وهو يقول لا بأس عليك هذا يعلمك الاحتشام واحترام السلطان .

عبد المدان : ما جريرة ولدك يا سيد تغلب ؛ فقد قضى عليه ابن هند بالسجن لانه دافع عن ابيه بحضرة الملك ولما هممت بالاحتجاج عنه طردني من امامه فجئت اليك اناشدك الله ان تخلص ولدك . زهير في السجن يا عمرو خلص زهيراً يا عمرو .

عمرو بن كلثوم: لقد طفح الكيل وفاض الاناء ونفدت جعبة الاصطبار . احرجتنا يا ابن هند حتى اخرجتنا . امض يا مرّه الى نهر الابلة واجمع فرسان تغلب وكن هنا بعد يومين .

حذار حذار يا عمرو بن هند فحاذر بطشاً اذ تبتلينا .
فنحن معاشر الاعراب قوم نعاف الذل لا نرضى المهينا
اذا ثارت حميتنا وفارت دمانا من ينجي المعتدينا
اما العرب الاباة ونحن منهم ومن منا يرى ان يستكينا
يغيث وما دريت هداك رشد بان البغي وجه السافلينا
تدين الاسد في الغابات قسراً وكبر العرب يأبى ان يدينا
فلا تطلب محالا او حراما حرام او محال ان تدينا
فما من ظالم في الارض يبقى وفيها فرع عرب امجدينا
فصبراً يا بني الاعراب صبرا فهذا اليوم يوم الظالمينا

(ستار .)

الفصل الثاني

(في سجن الخورنق)

المشهد الاول

زهير وحده – السجان يمشي

زهير : علامَ علامَ يا ملك الليالي ... ابيت اليوم ان تسبي العيونا
هتاف الناس يصعد في الاعالي ... يحبيي قبلك محبا العالمينا
كم لك طلعة بين الدياجي ... تنير العين تحيي الناظرينا
فلولا النور تبعثه مضيئا ... لبات الليل مكتئباً حزينا
فما لك لا تضيء فدتك نفسي ... تعزي القلب اذ تنفي الشجونا
فهل وضعت لك الدنيا قيودا ... وهل شادت لك العليا سجونا
تمثل عمرنا في كل طور ... فتكبر ناشئاً كالاصغرينا
وتهرم ثم تفنى في محاقٍ ... كذاك المرء تفنيه السنونا
كأنك عاشق اذ انت بدر ... وما اشقى حياة العاشقينا
اذا غابت غزالته بغرب ... بدا في الشرق مصفراً جبينا
وبث باثر غادية عيوناً ... نجوم الليل ما ابهى العيونا
ويصعد من تلهفه زفيراً ... نعيماً او انيناً او حنينا
وعند الوصل بعد الجد يمشي ... هلال الشك يوشك ان يبينا
فيدنو ساعة في كل شهر ... ويخجل بعد ذاك ان يبينا
كذا الدنيا فراق والتقاء ... وهجر بعد وصل المغرمينا
اذا عشق الفتى دنياه يشقى ... ويضعف ضوءه حيناً فحينا
ويسعد اذ تناءى المرء عنها ... ويعظم فضله في الاعظمينا

المشهد الثاني

السجان : مالك تحيي الليل وانت سهران نامت عيون الملا وطرفك يقظان.

زهير : من فقد الحرية فقد النوم وهل ينام الاسد وهو سجين وأنّى للنسر ان ينام في قفص (يدل على هزار في قفص) اما ترى هذا الهزار كيف يتململ في سجنه يقضي الليل ولا تغمض له عين .

السجان : هذا المزار بعث به اليك ظليم بن الحرث ليكون لك سلوى على البلوى وعزاء في الشقاء تعال وخذه .

زهير : (يتقدم) ظلمت صفاء ودك يا ظليم . فما اصفى سريرتك وانقى طويتك واصدق نيتك واثمن هديتك .

السجان : (يناوله القفص) تناول العصفور ولاعبه لعله يسلي همومك ويبدد غيومك .

زهير : (يتناوله) هلم يا سجيناً نظيري وكن الليلة سميري (يذهب السجان الى طرف المرسح)

السجان : (يخاطب نفسه) ما بال نكير ابطأ عليَّ فقد وعدني بليلة شرب وطرب .

زهير : (في السجن — في الطابق الاعلى ؛ يطلع البدر) اهلاً بطلعتك يا قمر فقد انعشت قرني وخففت عني شجني .

السجان : متى اقول اهلاً بك يا نكير فقد بردت غليلي وريت عطشي .

زهير : (يفتح القفص ويرى رقعة) رقعة ، ما عسى ان يكون فيها (يفتح الرقعة ويقرأ) :

يا زهرة الدنيا يا زهير ،عارضتك محافظة على شرف ابي وشرف دين العرب. على اني ما حنثت بيميني ولا نكثت عهدي ولا خفرت في ودادك ذمتي وانا الليلة اخلصك أو اموت فداك (الامضاء) ظليم . (يطوي الرقعة ويقول) لله درك يا ظليم مثلك تكون الاصدقاء .

السجان : قبحاً لك يا نكير ما اقل صدقك ووفاءك واكثر كذبك وغدرك لقد جفّ والله ريقي والتهب حلقي .

زهير : (يخاطب المزار) .

اعصفور السماء خلقت حرًّا تحلق في الفضاء مدى السنينا .
لقد ظلموك ظلماً يا نظيري وان الظلم طبع الغادرينا

(يطلق سراحه) .

هزار الايك كن حرًّا وغرّدْ ولا تعلق يفخّ الناصبينا
فما اشهى الحياة اذا استقلت واشقاها اذا ما قيّدونا

وما ادنى الانام وهم عبيد واعلانا اذا ما حررونا
برانا الله احراراً جميعاً فيا قوم الطغاة ظلمتمونا
يرى الاسماك تسبح في بحار وفي الافلاك رهطاً سابحينا
نجوم طالعات ساطعات على الدنيا يرُحن ويغتدينا
تطوف الشمس في الافلاك دهراً تحيّينا صباحاً ما حيينا
وتطلع نجمة الاسحار صبحاً تصبحنا بوجه يستبينا
وفي الدنيا طيور نازحات فتسبح في الفضا عصباً تبينا
تعي الطير في الاشجار لحناً بتعريد يلذّ السامعينا...
تهبّ الريح حيث تشاء تمضي ولا تلقى الرياح معارضينا
فكل في السما والارض حرّ سوى الانسان عبد السائدينا

(يسمع صوت نكير من خارج) سعيد . سعيد .

السجان : هذا صوت نكير .
نكير : هل خلا لنا الجو لنشرب ؟

المشهد الثالث

السجان : خلا لنا الجو لنشرب ونسكر ونطرب .
نكير : (وهو داخل) وانا خلا لي الجو لآتي بالعجب المستغرب (يدخل المغنّي مع نكير وبيده اللازم من اكل وشرب).
السجان : اهلاً بالوافد علينا . من اين القيان وبنت الحان لقد بلغت نفسي التراقي قبل ان تبلغ الينا
نكير : احببت ان يبلغ بك الطرب مبلغه لان السرور لا يتم حتى يستجمع خُلقاً رضياً وخَلقاً وضيئاً واكلاً مرياً وشراباً هنياً وصوتاً شجياً (يضع ما معه على الطاولة) هيا بنا يا صاح؛ نملأ الاقداح. ونرشف الراح. ونسبح ببحار الافكار والافراح. (يجلسان) (ويصب في القدح ويقول) : غنّنا يا افنون. فالجنون فنون . والسكر جنون ــ غنّنا صوتاً من شعر ابن كلثوم .

الا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن النجم فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

صرفت الكأس عنّا امّ عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثــة امّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
وكأس قــد شربت ببعلبك واخرى في دمشق وقاصرينا
وانّا سوف تدركنــا المنايا مقدرة لنــا ومقدرينــا
وانا غدًا وانا اليوم رهن وبعد غد بمــا لا تعلمينا

(يغني المغني هذه الابيات بعد ان يقولها نكير والسجــان يشرب ونكير يتظاهر بالشرب وبعد البيتين الاولين الى حنينا) .

نكير : ما اصفى الصوت !
السجان : ما احلى النغم ! (وبعد البيتين الثانيين الى « تصبحينا »)
نكير : لله درك يا بلبل السرور .
السجان : ما اشجى تغريدك يا شحرور الحبور ! (وبعد الاربعة الابيات بما لا تعلمينا) .
نكير : أطربت حتى اغربت يا مغني !
السجان : (بلهجة السكرن) سلبت العقل ثم الفكر مني .
نكير : غننا يا مغني صوتاً من شعر المنخل اليشكري (متظاهرًا بلهجة السكران) .

ولقد شربت من المدامــة بالكبير وبالصغير
فــاذا سكرت فانني ربّ الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربّ المشوبــة والبعير

(ويغني المغني هذه الابيات والسجان يضيع الرشد شيئــاً فشيئاً ويسقط في سبات عميق ونكير ينظر اليه ويتوم ويدور حوله حتى اذا تحقق انه فقد الرشد بالكلية قال للمغني) :

نكير : كفى يا صاح خذ الكؤوس وانصرف .

المشهد الرابع

(نكير ثم زهير)

نكير : عليَّ الآن ان اثبت بن عمرو في عزمه. فيثير عناده غضب ابن هند. وتزيد الضغائن بين العمرين (ينادي) : زهير : زهير !

زهير : (يطل) من يدعوني ؟

نكير : خل وفي لامر اتاك .

زهير : الساعي نكير. لعل قدومه خير (ينزل اليه) . ابخير تبشرني ام بشر تنذرني ؟

نكير : الخير والشر بيد الانسان وليس بيد القدر كما تزعمون والعاقل من يجني من الرزايا مزايا ويقطف من شجرة الشر ثمار الخير. والجاهل من يستغل من حقول الخير غلال الشر .

زهير : من انت ايها المقنع ؟

نكير : خل من اصحاب ابيك .

زهير : اكشف القناع ان كنت صادقاً. فان الله لا يحب المتسترين ولو كانوا من ذوي العاهات .

نكير : (يكشف القناع) لست من ذوي العاهات. انما انا رجل احجب وجهي عن الاشرار لئلا ارى فظائع الليل مطبوعة على جباههم في النهار .

زهير : من انت ولم تحجب نفسك عن الناس ؟

نكير : سوف تعرف غداً من انا وحجبت نفسي عن الناس لانهم لا يستحقون ان يروني ولا ان يعرفوني. الناس اذلاء: وليس فيهم عزيز ، ادنياء وليس فيهم شريف. لئام وليس فيهم كريم ؛ اشقياء وليس فيهم صالح .

زهير : استثن يا رجل .

نكير : عبيد وليس فيهم حر ، غادرون ، ماكرون ، كافرون ، جاحدون ؛ وليس فيهم وفيّ . كاذبون ، مخادعون ، نمامون ثلابون وليس فيهم صادق . حاقدون ناقمون ثائرون مبغضون وليس فيهم محب. ان صنعوا قبيحاً فلغير سبب حسن .

زهير : استثن يا رجل .

نكير : لا استثني احداً . فمن لم يكن فيه طبع من طباع الناس ، فليس هو من الناس ، ليس هو بشراً . ان هو الا ملاك رجيم . وكم من ملاك في صورة انسان وكم من شيطان في صورة ملاك . وما الناس في هذا الزمان الا ذئاب في جلود الحملان شيوخ تفسد الرجال والنساء . ونساء تفسد الرجال والشبان . وشبان يفسدون حرائر الجواري وكرام الفتيان . وفتيان تفسد البنات والصبيان . السنة احد من السنان تنفذ في طي الجنان . تمزق لحمان الانسان . كل عن عيوبه اعمى اصم ابكم . وله من الغير الف وجه والف اذن والف عين . والف لسان . وهاك مبدأ الناس اليوم : ان شئت ان تنجح وتنجح . فاسرح في فضاء الخداع والنفاق وامرح — واطعن في اعراض الناس واقدح .

زهير : من انت يا هذا ابشر ام ملاك ؟

نكير : انا صوت الحرية الصارخ في البلاد العراقية — انا هتاف النفوس الابية — انا صراخ الشهامة والمروءة والعزة والحمية . انا شبح الاريحية العدنانية — انا ظل النخوة العربية — انا روح الانسانية الحقيقية — انا صوت البشرية الحالية — انا درياق لسم الحية الادمية — انا نفس جدودنا النبوية — انا دواء الامراض الوبائية — انا طاعون العبودية — انا ممثل الارواح السموية — انا لسان الصدق والعدل والحرية — انا صورة الابدية .

زهير : وما تبغي مني ؟

نكير : ان اظهرك من عيوب الناس واعرو عنك صورة البشر .

زهير : وكيف ذلك ؟

نكير : بان ابث في ضلوعك روح الحر العزيز ، والشهم الكريم الذي لغير الله لا يذلل .

كن كبير النفس يا زهير ولا تتصاغر . كن ثابت العزم ولا ترجع عن كلام قلته فتصبح اعز العرب . فان عمرو ابن هند ابى الآ ان يذلك وقد سمعت انه سيأتي الساعة يرهبك بالوعيد والتهديد لتنحط على قدميه .

زهير : لا ينحط زهير على قدم حتى يغيبه اللحد ويلاشيه العدم (يسمع صوت من خارج) زهير زهير .

نكير : هذا صوت ظليم يدعوك فها اني ادعكما واذهب الى ابيك واطلعه على طويـــة امرك وثبات عزمك (يتقنع ويخرج ويدخل ظليم بن الحارث) .

المشهد الخامس

(زهير وظليم)

ظليم : (وهو داخل) ما وطئت قدمي مكاناً الا عثرت فيه على نكير (يرى زهيراً يسرع اليه) ناشدتك الله الا حفظت علي .

زهير : لا بأس عليك . ذدت عن حوض ابيك كما ذدت عـــن حوض اني .

ظليم : ولو لم افعل لما كنت اهلاً لان اكون لك اخاً .

زهير : ما احلى شمائلك يا ظليم، وما اكمل خلقك واجمل خلقك .

ظليم : لامر مهم جئتك .

زهير : لا شيء اهم عنـــدي من شعرك . بالله عليك ان تنشدني منظومتك في محاسن الطبيعة ثم تخاطبني في امرك الهام .

ظليم : واذا انشدتك واطأتني على ما اريد .

زهير : انشدني اواطئك على ما تريد . ولو كان غيرك لاستثنيت عليه ما ينافي العز والشرف واما انت فكل ما بك يحدث عن المعالي ويرمي الى مكارم الاخلاق فلا استثني .

ظليم : اذن انشدك :

ثلاث بدائع في الكون تسمو على اسمى بهاء العـــالمينا
نجوم الليل تسطع في الدياجي تمثـــل صورة المتنورينـــا
طيور الجو تصعد في الاعالي تصور صورة المتحررينـــا
بهاء الكون صورة كل حسن ورسم الطهر عين الاصغرينا
واحسن من محاسن كل حسن عيون الام تنظر في البنينا ...
ذكاء الفهم نجم في سماء ومـــا اسنى ذكاء الناهضينا
نقاء العرض في الدنيا بهي ومـــا ابهى نقاء الاطهرينا

وحر القول حر العقل حسن يزين الخلق يندر ان يكونا
ترى في الحب جناً لا يضاهى وابهى الحب حب الوالدينا
يرينا الحب ما معنى التفاني وحب الام اجمل ما يرينا
كنور الشمس ينقسم فيبقى بكامله بنور يستبينا

زهير : هكذا يكون الشعر والا فلا. اذا كان هذا نظمك صغيرا فكيف يكون نظمك كبيرا .

ظليم : كدت تنسيني باشعاري ما لاجله جئت اليك .

زهير : ولمَ جئت الي ؟

ظليم : جئت اخرجك من السجن .

زهير : تخرجني من السجن وكيف ذلك ؟

ظليم : ان البث مكانك .

زهير : تبث مكاني وما جريرتك ؟

ظليم : وانت بما جريرتك ؟

زهير : انا اغظت عمرًا واغضبته .

ظليم : وانا اغظت زهيرًا واحنقته .

زهير : ان كنت اسأت الى زهير فزهير يصفح واما عمرو فلم يعف عن مسيء قط .

ظليم : وهذا ما حملني ان آتي اليك. فقد سمعت عمرًا يقول: ان لم يرجع الليلة عن كلامه ويخضع مرغماً لحكمي . قتلته شر قتلة وان غضبت علي تغلب .

زهير : اما الخضوع ، فان خضعت السماء للارض يخضع ابن عمرو لابن هند. واما القتل فموت البري عز له وفخر. ولا يأسف على الحياة الا عبد الشهوات .

ظليم : بأبي انت وامي: تخضع ولا تموت. دعني مكانك وانصرف!

زهير : ان اعرضك لغضب عمرو وانتقامه .

ظليم : لا بأس عليّ من غضب عمرو. فهو يهاب ابي الحارث وقومه فلا يلحق بي اذى .

زهير : وابي عمرو ألا يرهب غيظه ابن هند ولا يهاب اغضاب تغلب .

ظليم : (ينظر الى السجان) لا حاجة الى المهاجنة فالسجان غريق

في سبات عميق وهو سكران لا يصحو حتى السحر. فهلم بنا ننصرف كلانا .

زهير : وأدع حياة السجان في خطر بسببي . المروءة والحمية العربية لا ترضى بهذا العار وعزة تغلب تأبى هذا الشنار .

ظليم : انا اخلّص السجان. اخبر عمرا اني وجدته سكران وان السجن فارغ .

زهير : ذلك لا يخلصه بل يزيد عليه حنق الملك فيضاعف عقابه.

ظليم : انا اضمن لك حياة السجان. انجُ بنفسك وما عليك من الغير .

زهير : ارخص متاع عندي حياتي ازاء حياة الاخرين .

ظليم : قلت لك لا بأس على السجان . افلا تثق بكلامي وشرفي وحلفي : حياتك يا زهير على شرف الهلاك .

زهير : وماذا تنفعني الحياة حين ترميني الناس بالسنة حداد مشيرين الي بالاصابع قائلين : هذا ابن عمرو فرّ من السجن مخافة ان يموت .

ظليم : بل تقول العرب : بريء وجد حيلة للنجاة من ظلم الطغاة فاعتصم بها ونجا ينشه لكن ما لنا وهذه. هلم بنا الى ابيك في سرادقه فهو منصوب قريباً من الخورنق. فان رأى قبيحاً ان تخرج من سجنك عدت اليه .

زهير : (يفكر قليلاً) صدقت . هلم بنا نشاور اني . (يخرجان وهما في الكواليس يسمع صوت من خارج كالرعد) .

عمرو بن كلثوم: (في الكواليس) عد الى سجنك يا اجبن الجبناء . (يرجع زهير وظليم ركضاً الى المرسح) .

(يدخل عمرو بن كلثوم ومرّه وعبد المدان) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم – مرة – عبد المدان – زهير – ظليم)

عمرو بن كلثوم : (رافعاً سلاحه على ولده) ورب ربيعة، لاجعلنك جزرًا لمهندي ولا تركت آل كلثوم مثلة بين العرب.

ظليم : (بين زهير وعمرو) براء زهير من كل شائبة يا عمرو – انا المذنب فاقتلني .

زهير : بل انا الاثيم فحز حلقي .
ظليم : انا اغريته بالخروج .
زهير : بل انا خرجت راضياً لا مكرهاً .
عمرو بن كلثوم : رضيت بالدنية ام أكرهت عليها فلا بد لي من تطهير دم كلثوم بدمك .
عبد المدان : تأنَّ في الحكم ولا تعجل لئلا يسبق السيف العذل .

عمرو بن احب الي ان تفنى وتبلى ... ولا تحيا حياة المجرمينا
كلثوم : فذلي ان ارى ببني نقصاً ... فيخفض من فخار الاولينا
واهوال المنون تبيد نسلي ... وأعقاب الجدود السالفينا
وتمحو ذكر كلثوم وتفنى ... من الدنيا مفاخر ما ولينا
لاطيب من كؤوس الراح عندي ... واشهى من حيا الشاربينا
باهوال المنون تطيب نفسي ... اذا لاشت دنايا السافلينا
اذا منعت منايانا الدنايا ... فما احرى الدنايا ان تجينا
واني ان اراك اليوم ميتاً ... ومطعوناً برمح الطاعنينا
لافضل من حياتك في هوان ... لئيم الخلق محتوراً مشينا
اذا دنست حياة النفس يوماً ... فخير للفتى ان لا يكونا

زهير : احب الي ان افنى وابلى ... وتمسي كل اضلاعي طحينا
وادفن في بطون الارض حياً ... ويبقى عز كلثوم مكينا
وتهصرني سباع البر هصراً ... ولا اسعى كسعي الخائنينا
وتلهم السن النيران جسمي ... واسلم من لسان الخائنينا
وتفتاش السهام وجيب قلبي ... ولا ارمى بسهم الشامتينا
وتنقض الصواعق من سماها ... وتسحقني مخافة ان اخونا
انا ابن الافضلين فدتك نفسي ... ولا حرج على ابن الافضلينا

ظليم : ظلمت ولدك بالتهمة ورميته بالتبرية يا عمرو .
عمرو بن كلثوم : وكيف ذلك .
ظليم : لم يخرج من سجنه الا بعد الالحاح . ولم يغادره الا قصد مشاورتك. حتى اذا رأيت في ذلك شيئاً رجع الى مقره راضياً مسروراً .

عمرو بن كلثوم : هذا دمي طاهرًا لا عيب فيه . الى صدري يا اعز ابيك وفخر ذويك (عمرو وزهير يتعانقان) .

زهير : رضي ابي عني ، فما اسعدني !

عمرو : ما كان اشقاني لو بدرت مني ضربة ولم اتأن .

زهير : انت وهبت لي الحياة واذا شئت اخذتها فهي لك ومني عز لي وفخر وما سروري اذا لم يكن في حياتي مجد ابي وشرفه وعظمته .

عمرو : انت عزائي وهنائي .

عبد المدان : سمعا يا زهير ان عمرو بن هند يحاول ان يرهبك متوعدًا متهددًا لترجع عن كلامك متذللاً .

زهير : عزة بني كلثوم تأبى التذلل ، وانفتهم تأنف من الخضوع .

عبد المدان : وان تهددك بالقتل ؟

زهير : ان اموت عزيزًا ولا اعيش ذليلاً .

عمرو : أتثبت على عزمك هذا امام الموت.

زهير : تتزعزع الدنيا وتتضعضع الجبال ، وعزمي لا يتزعزع ، وحزمي لا يتضعضع .

ظليم : (يتطلع) ارى ابي الحارث وعمرًا وخالدًا آتين الى هنا .

عبد المدان : لقد هلكنا جميعاً .

عمرو : (يستل سيفه) ومن يهلكنا والسيف بيدي ؟

عبد المدان : ليس الوقت وقت تهور واقدام ، بل وقت حكمة وتروٍ . هل من مخبأ في السجن يا زهير .

عمرو : وعمرو بن كلثوم يختبئ من وجه عمرو بن هند خوف الموت؟ ذلك جبن وعار .

عبد المدان : ليس في ذلك جبن بل حيلة ودهاء . نختبئ لنقف على افكار عمرو ونكون على بصيرة من امره .

عمرو : صدقت (يدخلون الى السجن) .

المشهد السابع

(يدخل الحارث وعمرو بن هند وخالد – زهير – ظليم – جنود)

عمرو بن هند : (وهو داخل) ما بال ابواب السجن مفتوحة، اين السجان ؟

خالد : هوذا السجان نائم نوم السكران، يغط في نومه غطيط الثور. (يذهب اليه) عامر، عامر، مسكين عامر. (يوقظه).

السجان : (يصحو نصف صحو):

اذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربّ الشويهة والبعير

خالد : اضاعت رشده حميا الخمر.

عمرو بن هند : اخرجوا العبد خارجاً ثم اقطعوا رأسه وعلقوه على جدار السجن ليكون عبرة للسكيرين (يخرج مع السجان احد الجنود).

الحارث : (الى ظليم) ما جاء بك الى هذا الموضع يا ظليم ؟

ظليم : عهد الوداد، ويمين الاخلاص، ومثل ابن الحارث من يفي بعهده ويبر بيمينه. ربطتني اواصر الصداقة بزهير من حول ورأيت سمجاً ان يجفو اخاه في الضراء ويصله في السراء اتنكر علي ذلك يا ابي ؟

الحارث : سلمت لا تنكر يا بني – حسناً صنعت – (الى زهير) يا ابن تغلب فرطت منك هفوة امام الملك والملك حكيم عادل فاستغفر عن هفوتك يصفح عنك.

زهير : ما زلّ من ذاد عن حوض ابيه.

خالد : تطاولت في حضرته، وابوك عمرو نفسه انكر عليك ذلك. فاجثُ على قدميه واطلب الغفران.

زهير : لم ينصف بحكمه وقلت: ايها الملك ما انصفت. وانا مصر على قولي ولو قطعت ارباً ارباً. ولا جثوت ولا تذللت ولا صفحاً طلبت.

عمرو بن هند : من اعزّ العرب يا فتى ؟

زهير : عمرو بن كلثوم.

عمرو بن هند : من اشعر العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : من اشرف العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم اشرف العرب ؛ واعز الناس ، واشعر الانس والجن ؛ واكمل من اظلت السماء وحملت الارض .

عمرو بن هند : جئنا اليك تحملنا عاطفة الحلم فاذا انت تثير في ضلوعنا نار الغضب فان لم تكفكف تندم .

الحارث : فتى فيه نزق الشباب وحلم الملك اعظم .

عمرو بن هند : لا سبيل الى المدافعة عنه . دعونا وحدنا واخرجوا عنا .

المشهد الثامن

(عمرو بن هند — زهير)

عمرو بن هند : انت ، يا ابن عمرو ، بحضرة جبار العرب وملكها . فلقد اخطلتني بسوء تصرفك وقلة ادبك ؛ وما كان ابن هند ليصبر على ذلك لولا ان لابيك عندنا حرمة وعلينا عهداً وميثاقاً . امرت بسجنك لتأديبك فما زادك السجن الا قحة . فان اصررت على عنادك لقيت هواناً وحتفاً .

زهير : اما الهوان والذل فنفسي تأباهما ؛ وليس بيد الناس اذلال العزيز . ومن لا يذلل نفسه لا يذلل . واما حتفي فلك فيه ما شئت ان استطعت واردت احتاظ سيد تغلب واغضاب قومه .

عمرو بن هند : املك العرب وجبارها ، سيد معد وغطريفها ؛ يحجم عن الامر رهبة . والله لو تجمعت امة الثعلبين وتألبت علي جحافل المغربين والمشرقين لما صدتني عن ورود موردي واتمام قصدي . انا قاهر الانس والجن . انا مرغم انف الدهر . انا رب الزمان والعصر . وانا معدن الشرف والفخر . من رضيت عنه عز وعاش . ومن سخطت عليه ذل ومات . بيدي الحياة والموت . ولي العز والجبروت .

زهير : بيد الله حياتنا . وموتنا بيد الله . لله خالقنا العز والجلال ولله ربنا الجبروت والسلطان .

عمرو : كل العرب عبيدي ومن يجسر ان يقف في وجهي ويتناوم كلمتي .

زهير : العرب عبيدك وانت عبد الله.يطيعك العرب ما اطعت الله وتبعت سنن العدل والشرف. والا قلبوا لك ظهر المجن فالعربي لا يقيم على الذل طويلاً .

عمرو بن هند : فتى سفيه يخاطبني بهذه القحة واتحمل.لقد فرغ صبري . ان لم تكفر عن جريرتك نالك هوان شنيع ومويت فظيع . عفر جبينك بالتراب اجلالا لمهابتي. وخر ساجداً لعظمتي.

زهير : ربينا على النزاهة يا ابن هند ونحن مدى الدهور كما ربينا
الـه الخلق نعبده جميعـاً ولسنـا للخلائق عابدينـا

عمرو بن هند : تطأطئ رأسك طوعاً ام قهراً .

زهير : لا يسجد وجهي لمخلوق حتى يزاح رأسي عن بدني .

عمرو بن هند : عفر جبينك يا متغرطس واسجد والا .....

زهير : (يرفع رأسه بكبر) بل ارفع رأسي الى السماء ولرب السماء اسجد .

عمرو بن هند : عفروا جبينه ايها الجنود (تتقدم الجنود) .

زهير : اليكم عني لا تذللوني رغماً .

عمرو بن هند : ان لم يعفر طوعاً عفروه قسراً وذلا (تقترب الجنود) .

زهير : ابي! ابي! ذد عن شرف ولدك .

(يظهر عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه يرجع الجنود الى الوراء)

عمرو بن كلثوم : وراءكم يا بني الانذال (شعرين) ....؟

عمرو بن هند : تنصب لي حبائل في سجني اخرجوا بنا . فلنخرج .

زهير : لله در ابي!

(تم الفصل الثاني)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الحارث بن حلزة وظليم ونكير)

ظليم : لله در عمرو . ما اعز نفسه واشد اباءه وآنف انفته لم يأذن لابنه بالفرار من السجن وقد سنحت له الفرصة .

الحارث : لو كان بامكانك الاختيار وخيروك اما تود انه ابوك ؟

ظليم : افتراء افتريت علي . لو خيرت لما وددت ان يكون احد من الناس ابي ان لم يكن الحارث .

الحارث : وما فضل الحارث على سائر الناس ؟

ظليم : فضله انه أبي .

الحارث : وما فضلك وقد فضلك ابن عمرو اذ ابى ان يكون لك عليه جميل .

ظليم : اليوم يظهر فضلي ويشهر بين العرب ذكري .

الحارث : وما انت صانع ؟

ظليم : اني اخلص زهيراً من نقمة عمرو .

الحارث : ذلك اصعب عليك من رد امس الدابر وترجيع السهم الطائر وتوقيف القدر النافذ .

ظليم : اذا اجتمع في الفتى قوة الفهم وشدة العزم والحزم امسى لديه المستحيل ممكناً والمستصعب مستسهلاً .

الحارث : يسرني ان ارى فيك حمية الشباب وغيرة الاصحاب لكني لا ارى احداً بامكانه تخليص زهير سوى ابيه عمرو ولقد كان اصدر ابن هند امراً بقتله لو لم احذره وخيم العاقبة واعده بتكفير عمرو عن جريرة ابنه .

ظليم : وهل من جريرة على ولد ذاد عن حوض ابيه ودافع عن شرف قبيلته ؟ اذاً كنت انا مجرماً في عين الملك .

الحارث : كل ما لا يسر الملك جريرة في اعينهم . ثم ان زهيراً تطاول في الكلام .

ظليم : ان كان تطاول زهير وتحاول عن غير روية فلقد لامه ابوه وعفا عنه الملك وهل ترجع الملوك عن عفوها .

الحارث : ما الملوك والعظماء يا بني ، الا آلات بيد ذوي الاغراض تحركها وتثيرها كما تثير العواصف رمال الصحراء .

ظليم : اذن ما الحيلة لانقاذ زهير . حلفت بحياة اني الحارث لاخلصه او اموت فداءه .

الحارث : لا حيلة الا بالتكفير .

ظليم : الا يرضي الملك بحياتي ويعفو عنه .

الحارث : لا يرضى الا بالكفارة .

ظليم : اذن يموت زهير فالسلام على الحياة .

الحارث : وما يدفعك الى هذا التفاني .

ظليم : خلوص حبي ،وصدق ودادي،افلا يكون بين جميع الناس رجل واحد وفيّ ، وصديق واحد صادق .

الحارث : سكن بالك يا بني ،اننا نعمل ما استطعنا على خلاص زهير . (يخاطب نكير) تذهب يا نكير الى عمرو وتقول له : يا سيد تغلب ان للحرث معك كلاماً ولا يستطيع الوصول اليك فان رايت ان تعجل بالحضور فان المقام حرج وزهير على قاب قوسين من الموت .

نكير : اني ذاهب اليه وابلغه كلام الحارث .

الحارث : وانا ابقى انتظر قدومه محدثاً نديم الملك خالداً ريثما يحضر فقد ضربت له وقت موعد .

نكير : لا اخرج من عندك حتى يدخل عليك النديم خالد فها انه داخل (يخرج نكير ويدخل خالد) .

المشهد الثاني

(الحارث وخالد وظليم)

خالد : سلام على سيد بكر .

الحارث : وعلى نديم الملك افضل السلام .

خالد : ضربت لي وقت موعد فلم ابطئ عليك فما الامر .

الحارث : عندك الامر وعند عمرو .

خالد : لا ينفك الملك مصراً على عزمه ولقد زاد حنقه ما رآه من زهير واستخفافه . عبد يستخف بمولاه ويصبر ، فما اعظم حلم الملك .

الحارث : يغضب الملك على ابن سيد العرب لكلمة فلتت منه فيهدده بالقتل ويرهبه بالحكم ؟

خالد : عجباً لك يا حارث ؛ تدافع عن ابن خصمك وقد اقر الملك لك بالاسبقية ولقومك بالافضلية .

الحارث : حكم الملك لي بالاسبقية ولآلي بالافضلية وانا متذر له حكمه حق قدره وعارف له جزيل فضله. لكن اما كفاكم انقساماً يا بني عدنان: اكل يوم ضغينة ، وكل يوم عدوان ، اما ترى ان قتل ابن عمرو يثير الخواطر ويهيج العواصف .

خالد : اترى ان يصفح الملك عن كل اساءة فاين تذهب بهيبته ؟ والعربي ان ابنت له عن سن ضحوك استخف بك وازدراك ، وان كشرت عن انيابك . استعظمك وهابك .

الحارث : كانك لا تدري ما هي عزة العرب. اتجهل ما نال المنذر جد عمرو لشدة وطأته على رعيته . فما بغى سيد على قومه ، ولا طغى ملك على عباد الله ؛ الا كان البغي وبالا عليه ، والطغيان اذلالاً له . بغى نمرود فدخلت في انفه بعوضة وادمته واذاقته مر النكال حتى مات . طغى جالوت الطاغوت فسقط صريعاً بحجر من مقلاع داود . عز كليب فارداه جساس قتيلاً فوحقك يعز علي ان يحل بابن هند ما حل باولئك الطغاة اللئام وتحل عقدة الوفاق وينعق غراب الشقاق بين القبائل فلا يصبر عمرو بن كلثوم على قتل ولده وهو بري وليضرمن ناراً يدوم سعيرها مدى الدوران .

خالد : وما العمل وما التدبير ؟

الحارث : انت تقنع عمرو بن هند بالاقلاع عن قصده مبيناً له سوء المغبة وانا احاول اقناع عمرو بن كلثوم بتلافي الشر .

خالد : لا سبيل الى اقناع ابن هند الا بتذلل عمرو بن كلثوم .

المشهد الثالث

(عمرو بن كلثوم – الحارث – خالد – ظليم – نكير – مرة)

(يدخل عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه ويقول عند دخوله) :

مرو بن كلثوم : لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر ؛ ولا يخضع الا لله خالقه (وعند لفظة خالقه ينكس سيفه ويخفي رأسه اجلالاً واذا صفقوا له عند دخوله يقف عند قوله لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر وبعد ذلك يكمل باجلال وعظمة قائلاً) : ولا يخضع الاّ لله خالقه .

لغير الله لا نخفي رؤوساً ولا نخشى ملام اللائمينا
برانا الله احراراً كراما ولسنا لغيره متذللينا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا
وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي الملجئينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

خالد : خفض بعض حيتك يا عمرو ولا تحاذر . فانك بين الاصحاب .

الحارث : بعثت اليك في امر زهير . لست الآن في موقف الخصم قد حسمت مسألة ولدك كل خصام فما انا اليوم الا صديقك القديم وجدت ولدك في ضيق فتقدمت اليك لتخلصه .

عمرو بن كلثوم : لا بأس على زهير وفي الاحياء ابوه عمرو .

بهيبتنا نرد الشر عنا وسطوتنا نصد الموعدينا
اذا ذكرت مآثرنا لقوم حملناهم على ان يتقونا

الحارث : لا يتقي ابن هند رجلاً حين يغضب ، كاتئاً من كان . وقد حنق على زهير حنقاً اشد من حنق الكنة على حماتها حين تثأر . وحنق رجل على امرأته حين يغار . ومن استشاطة البخيل على الخليقة حين يفقد الدينار . ومن اغتياظ المقامر على ربه حين يخسر ماله في القمار . ومن سخط العاشق على مزاحمه اذا فاز بالانتصار .

عمرو بن كلثوم : وما الداعي لهيجان بركانه وانفجار ثورته ؟
خالد : لانه لم يذعن لحكم الملك في تفضيل الحرث على عمرو وتقديم بكر على تغلب .
عمرو بن كلثوم : اذا بلغ البغي بابن هند الى حد الهذيان او نزع به طبعه الى نزع نزعات الطبيعة من قلب الانسان .
خالد : ان في الملوك عزة فوق السوقة وسلطاناً يرفعهم عن الناس ومقاماً يسمو بهم الى ما فوق البشر .
عمرو بن كلثوم : اليس الملوك من جبلة آدم ليس الشرف في سمو المقام انما الشرف في علو الهمة وسمو الفعال وحسن الخصال وكم من صعلوك اعز نفساً من بعض الملوك وكم من ملك لا يحترم سنة الله وحقوق البشرية ليس له الحق على احترام الرعية وطاعة العباد .
الحارث : انما التقادير تقضي احياناً على الحكم ان يراعي احوال المكان والزمان .
عمرو بن كلثوم : وما علي ان اراعي .
الحارث : خاطر ابن هند .
عمرو بن كلثوم : كيف اراعي خاطره ولم يرعَ له حرمة ولا حفظ لي عهداً .
الحارث : من ضانع وجامل سلم ولم يندم .
خالد : اترى حيفاً في ان تتصاغر متذللاً للملك متضرعاً فتنجي ولدك .
عمرو بن كلثوم : ان يسلم عرضي ويعطب ولدي اسلم لي ولا خير في خير نبذل له ماء وجهنا وما نجى شرف الاباء وحياة البنين غير الصارم البتار .
الحارث : هل من حاجة ان يتذلل من استرعى الملك واستعطف جانبه واستغفره عن ولده .
عمرو بن كلثوم : لا استرعي ولا استعطف ولا استغفر عن الحسنات .
خالد : لا تصعر خدك يا ابن عتاب لئلا يقوم .
عمرو بن كلثوم : تتهدد يا ابن الـ (يضع يده على قبضة سيفه) لولا حرمة الحرث لازحت رأسك عن بدنك .
خالد : شعرة مني برأس زهير .
عمرو بن كلثوم : شعرة من زهير برأس مولاك .

خالد : يقول لك الملك تقصر من غلوائك. وتخفض بعض خيلائك. وتنزع عنك بهتك الفارغ وكبرك الباطل. وتعفر جبينك بالتراب اجلالا لعظمته . والا صغرك وذلك انت وعقبك وكل عشيرتك .

عمرو بن كلثوم : امض وقل لمن ارسلك. قصرت يد بن هند عن اذلال ابن ليلى. ورب ربيعة ، البحر اذا هاج وماج. اسهل على ابن هند اسكان امواجه من اذلالنا. وايسر له ان يهمد البركان اذا فار فائره وثار ثائره من خفض شأننا وكسر شوكتنا . هل يستطيع ان يمنع الفلك الدوار من دورانه ويوقف الشمس عن مسيرها ويرجع المياه المنحدرة على الجبال على اعقابها. هل يستطيع ان يجعل النهار موضع الليل والليل موضع النهار ؟ اذن يستطيع ان يسومني خطة الخسف واخوان ويجلبني بجلباب المذلة والعار .

خالد : اني لمبلغه كلامك في الحال فائبت له ان كنت شجاعاً .

الحارث : (على حده) اني خارج في اثره امنع عقاربه ان تدب على عمرو (عند خروجه) اتبعني يا ظليم .

ظليم : (على حده) نفسي تحدثني بحدوث امر جلل .

المشهد الرابع

(عمرو بن كلثوم – عبد المدان – التغلبي (نكير)

عمرو بن كلثوم : تخرج يا عبد المدان مع نكير الى تغلب وتهيّ قومنا للحرب.

عبد المدان : وانت ماذا تصنع مكانك .

عمرو بن كلثوم : البث موضعي لئلا يقال فر عمرو بن ليلى من وجه عمرو بن هند .

عبد المدان : ليس هذا الرأي بل تذهب انت بنفسك تعد رجالك للقتال.

نكير : الرأي يا عمر والصواب يجانبه ابن هند غدار ان بقيت هنا غدر بك واوردك موارد الهلاك باغتيالك .

عمرو بن كلثوم : لا تشمت بالملك بحضرتي وان كان خصمي .

نكير : ابن هند غدار يا ابن ليلى .

عمرو بن كلثوم : صه يا رجل !

نكير : خائن ماكر مخادع باغ طاغ .
عمرو بن كلثوم : كفاك يا رجل فكف عن السباب .
نكير : لا اكف عن شتمه حتى اراه مضرجاً بدمه فقد غدر بي ولولا القدر لبعثني الى حيث القت رحلها ام قشعم .
عمرو بن كلثوم : من انت يا رجل .
نكير : (يكشف القناع) انظر فترى من انا .
عمرو بن كلثوم : جرير بن عبد المسيح المتلمس ؟ ...
نكير : جرير بن عبد المسيح المتلمس . الوقت حرج والزمان ثمين يا عمرو ولا يبلغ كلامك الى مسامع ابن هند حتى يعقد مجلساً يقضي فيه بالموت على زهير . فاني خبير بامره . عالم بطويته . ولقد سمعته يقول لخالد : ان لم يكفر الآب عن اثم ابنه اعظم تكفير ذللت الابن والاب ، وقتلت الواحد بعد الآخر . تعجل يا عمرو الى رجالك وتغدَّ ابن هند قبل ان يتعشاك . حبل حياة زهير موصول بدقيقة .
عبد المدان : هيا بنا يا عمرو فان الرجل صادق .
نكير : بالعجل الندامة وبالتأني السلامة .
عمرو بن كلثوم : لبيك لبيك يا زهير ، حياتي فداك . ورجالي لك . (يسحب سيفه) ومهندي في رقاب عداك . بل حياتي ورجالي ومالي وولدي لكم ايها العرب :
انزعي عنك برقع الحداد يا امة الاعراب . واخلعي عن عنقك نير الاستبداد يا امة الاحرار . لقد حان تحرير العباد . وباد زمان الاستبداد . تصلح الحرية للعرب . والعرب للحرية يصلحون . حرام على الطغاة يستعبدون ملوك الصحراء وابناء السماء ونسور الفلاء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء — ما ابهى البدوي حراً على ظهر جواده . بشماله العقال وبيمينه البتار . يطير على سابح في بحار من رمال احر من جمر النار . يباري في جريه الرياح ويسبق النسور والعقبان يطارد سباع البر ويداعب غزلان الغابات . حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء . ما اسمى البدوي حراً في الليل . يمتد جسمه فوق الثرى وترتفع همته فوق الثريا ، يناجي البدر . ويسامر الكواكب الطوالع . فراشه على رمال

الصحراء وغطاؤه قبة السماء . يتلاعب بشعره النسيم ويبلل جسمه ندى الاسحار . ويطرب مسمعه حفيف الشجر وفحيح الحيات يهزه صليل السلاح وصهيل الخيل زئير الأسد وعواء الذئاب كما يعجبه شوارد الافكار في سكون الليل وتراكم الاحلام في سبات النوم . حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلّوا الفضاء لفارس الزرقاء . (يخرج) .

المشهد الخامس

(نكير وحده)

نكير : هذا هو العربي الحر الذي تأنف نفسه من الضيم وتستنكف من الذل . هذا معيد الحرية الى البلاد العربية .

المشهد السادس

(ظليم ونكير)

ظليم : (وهو داخل مسرعاً) قضي الامر لقد هلك زهير !

نكير : ماذا تقول يا فتى ؟

ظليم : ابن عمرو ابن عمرو .

نكير : لقد اذهلتني يا ظليم فهل مس دماغك الجن .

ظليم : عجل يا نكير وراء عمرو واخبره ان الملك يعقد في هذه الساعة مجلساً .

يحكم فيه على زهير ليشجبه . ها ان الملك آت مع حاشيته فعجل (يخرج نكير يدخل الملك مع حاشيته) .

المشهد السابع

(مشهد الملاكة وحاشيته)

عمرو بن هند : بلغتكم سفاهة ابن عمرو . جاملنا الجاهل فما زاد الا جهلاً وحمقاً وجرأة . فما رأيكم فيه ؟

خالد : نظر الملك في العواقب ابعد ورأيه في الامور اصدق . الآ اني ارى ان يعاقب السفيه معاقبة تنبي الجهال وتروع السفهاء .

الحارث : بئس رأيا رأيك فما عقلت وما عدلت. تغري الملك بابن سيد العرب . الحلم في كل المواطن ارفع وانفع ايها الملك؛ والعفو عند المقدرة اكرم واعظم .

خالد : الحلم يجرئ العبيد على مواليهم .

الحارث : الظلم ينفر الشعب من الحكم .

خالد : ان عنا الملك ذهبت سطوته .

الحارث : اذا جار الحاكم تقلقلت حكومته .

عمرو بن هند : تحمي ابن خصمك يا حارث .

الحارث : بل احمي دولة الملك وامة العرب .

عمرو بن هند : ما على دولتي او امة العرب في قتل فتى احمق ؟ اليست لي الرقاب اختلبها بمخلب انتقامي

الحارث : لله ولاصحابها وليست للملوك الرقاب. اتق الله في عباده ابيت اللعن ولا تثر ثائر العامة. فالشعب رهيب في غضبه. ما الرياح العاصفات اذا ثارت تهدم وتخرب ما تلاقي على مهبها لا تبقي ولا تذر تنقض البيوت وتقلع الشجر. وما البراكين اذا فار فائرها والتهت بحممها على المدن والقرى تدمرها وتلاشيها . وما البحار اذا هاجت وماجت بامواجها تغرّق السفن في لجها اشد ضررًا من الشعب عند تغيظه وحنقه — الشعب رهيب في حنقه .

عمرو بن هند : مثلي لا يتخوف الشعب ولا يرهب العامة . العامة جماعات عميان معقودين الى حبل يقودهم بصير يسيرون خلفه حيثما سار.

الحارث : ولعلّ ابن كلثوم ذلك البصير .

عمرو بن هند : الشعب غابة تردد صوت مغن يتغنّى في الليل وكهف يراجع هتاف هاتف وصراخ صارخ .

الحارث : وربما كان ابن ليلى الصارخ بهتاف الحرية .

عمرو بن هند : الشعب مطية يركبها فارس يشدّ بزمامها ويرخيه حسب هواه ويركضها على رضاه ...

الحارث : واذا جمحت المطية جنحت براكبها الى المهواة واردته صريعاً قتيلاً ....

عمرو بن هند : الشعب قطيع غنم لا عقل لها، يسوقها رجل واحد الى المسلخ فتساق . يصفر لها الراعي فتسمع. ويمشي امامها فتمشي وراءه لا تدري الى اين المسير .

الحارث : وما ادراك ان لا يكون الراعي كلثوم .

عمرو بن هند : العامة صبيان لا يعقلون تزمر لهم فيرقصون وترقص لهم فيصفقون

الحارث : افلا يكون الراقص عمراً ؟

عمرو بن هند : الشعب ظل الغالب وخيال المنتصر يحملون الحق بحساب التوفيق كيفما مال السعد مالوا يخذلون اليوم من نصروا امس وينصرون غداً من خذلوا اليوم الشعب مع القوي الواقف على الضعيف الساقط .

الحارث : وربما قوي عمرو. وضعف. عمرو ووقف عمرو. وقام عمرو.

عمرو بن هند : كفى يا حارث تخوفني وتتشائم فلا بد من ارهاب القوم باشد العقاب. لا يبلغ عمرو بن كلثوم مهما تطال الى اعلى من قدمي. فوالله لخنصري اغلظ من متنه وشمالي اجود من يمينه ولا خصي اشرف من رأسه وخطأي اصدق من صوابه وصمتي ابلغ من كلامه وامي افضل من امه وخدمي خير من سراة قومه فوالله لو هززت بيدي عصاي مات من عصاني ولقد عرف الدهر بطشي فما عاداني . فما انا الا مقطب جبيني فترجف الجن في القطبين ولسوف تعلم الاقوام من افضل العمرين علي بزهير (يذهب جندي) .

الحارث : وما انت صانع .

عمرو بن هند : والله لاجعلنه عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين . الست انا السيد والعرب العبيد اصنع بهم ما اشاء واريد . ان حسن عندي امت. وان راق بعيني احييت. والله لاطأن بسنابك خيلي كل من لا يرى رأيي ويقول بقولي .

الحارث : على رسلك ايها الملك ، ان للعز سكرات ، كما ان للموت نكرات. وتلك السكرات يعقبها حسرات. اني عاهدت الله ونفسي ان لا اداهن في مشوره ولا اخادع في نصيحة . لا تبغ ايها الملك ، فان البغي وخيم المرتع ولا تظلم فان الظلم سيء المنقلب

لا تثر الضغائن بقتل البري. ولا تنفر القلوب باذلال الرعية فان في صدور العرب حمية تغلي مراجلها تأنف من كل مستقبح وان تحت الرمضاء لجمراً اخف تنفخ يضرمها واق نسيم يسعرها وان في طيات الصدور عقارب وحيات. فبنو غسان واقفون لك بالمرصاد. يترقبون الفرص للوثوب ويترقبون الساعة لادراك الثأر. وبنو تغلب لا يعبرون على قتل ابن سيدهم وهتك حرمتهم . لا تفرق كلمة العرب ايها الملك ولا تضعضع امرهم ارضاء لهواك. فان الهوى مطية من ركب متنها ينعطب. ولا تزعزع اركان الملك لخفرة صدرت عن فتى ديمه الشرف وربه العز. فحلم الملك اوسع وعدله اعظم. وان كان لا بد من التكفير للمهابة الملوكانية فدونك الشيخ العاجز فقد جاوزت التسعين ولم يبقَ مني خير ينتظر. فاهدر دم الشيخ الفاني . واصفح عن الفتى الهمام . فيسلم عرضك من سهام ملام . وتصون امة العرب من الشقاق والهلاك . وان كنت غير كفوء لابن عمرو فهاك ابني العزيز فاطعن صدره واتق شر البغي وعاقبة الظلم .

ظليم : هاك صدري ايها الملك فاطعن نحري واسفك دمي واصفح عن زهير .

المشهد الثامن

(يدخل زهير بعظمة رافعاً رأسه وجندي)

خالد : طأطئ الرأس اجلالا لمهابة مليكك يا ابن عمرو ، ولا تشمخ بانفك بحضرة العظماء .

زهير : اني اجلّ الملك العادل وازدري المملق السافل . ابجل عظماء الفعال والخصال . واستخف باذلاء الطباع وادنياء النفوس. طلبتني ايها الملك لتنصفني حتى ام ليشتمني العبد

عمرو بن هند : طلبتك للتكفير عن جريرتك .

زهير : ان كنت اسأت فاطلب الصفح .

عمرو بن هند : قل اني اسأت .

زهير : لم يسئ من حافظ على شرف ابيه ، وحبّني اسأت فما التكفير .

عمرو بن هند : ان تعفر جبينك على اقدام العبيد ثم تقتل قتل الانذال.
زهير : لا عفرت ولا كفرت ولا شرف كلثوم حقّرت .
عمرو بن هند : اني والله لأذلّلنّ عزك وعز ابيك واجعلنك مثلة في العرب انت وذويك .
زهير : اقتلني شر قتل ولا تمثل بي .
عمرو بن هند : تذلل اذلال العبيد وتموت موت الكلاب .
الحارث : رفقاً به ايها الملك .
عمرو بن هند : لا رأفة ولا رحمة . والله لاجعلن عزّ آل كلثوم موطئاً لاقدام العبيد .
زهير : قصرت عن ذلك كلّ ملوك الانس والجن .
عمرو بن هند : ايها الجنود — ذللوا السفيه واقتلوه .
ظليم : لا تذللوه ولا تقتلوه — مر ايها الملك انا اكفر .
عمرو بن هند : صه ايها الغرّ الجاهل .
ظليم : ذللني اقتلني ولا تمس عز زهير . ما اسمى الموت في سبيل اعز الناس .
عمرو بن هند : يذلل زهير ويقتل ثم تذلل بعده وتموت .
الحارث : ايها الملك .
عمرو بن هند : لا كلام بحضرتي ، والله لا تركت عربياً رافع الرأس شامخ الانف . ذللوا زهيرًا ايها الجنود واقتلوه (يدخل عبد المدان)
عبد المدان : لا تذلل زهيراً ايها الملك فان اباه عمراً قادم في فرسان تغلب.
عمرو بن هند : ساق القدر اليّ عمرًا ليشهد مقتل ولده وتذليل نسله وتحقير آله . ايها الجنود عفروا جبينه اشنع تعفير ثم اقتلوه شر قتل.
عبد المدان : (يتقدم بينهم وبين زهير ويشهر سيفه) لا يذلل ابن سيد العرب وفي رمق .
ظليم : لا يذلل صديقي وفيّ حياة .
عمرو بن هند : ابعدوا السفيهين واقتلوا الاحمق (تحيط الجنود بزهير) .
زهير : يا لتغلب! يا لعمرو ! !
عمرو بن هند : هتافك يذهب في الهواء فأبوك بعيد.ادعُ اباك وارفع صوتك جهرًا ، والله لاقتلن الوالد على جثة الولد .
نكير : لا تجزع يا زهير فان اباك داخل .
عمرو بن هند : (الى جهة الشمال) ايهـــا الحرس العجل العجل ... (يردد

(الصوت صداه خارجاً) ايها الجنود اقتلوا زهيراً قبل دخول عمرو (تتقدم الجنود شاهرة سلاحها).

زهير : اليكم عني . يا لتغلب ! يا لعمرو !

عمرو بن كلثوم : (من خارج) يا لتغلب يا لزهير !

عمرو بن هند : (يستل سيفه) لا يقتل عمرو بن كلثوم الآ عمرو بن هند.

عمرو بن كلثوم : (يدخل شاهراً سيفه وماسكا ترسه) يا لزهير يا لثارات العرب ! (يتقدم نحو عمرو بن هند).

عمرو بن هند : (يستعد) اهكذا يتجرأ العبد على ربه — على الخائن !

عمرو بن كلثوم : على الظالم (يتعاركان لحظة بالقرب من الكوليس ثم عندما يصير عمرو بن هند داخل الكوليس يقول عمرو بن كلثوم كصوت الرعد) خذها جزاء بغيتك ايها الطاغي .

نكير : قُتل الباغي فافرحوا ايها الاحرار .

ابن سنمار : طب نفساً في لحدك يا ابي سنمار .

نكير : طب نفساً يا متلمس فقد اخذ لك بالثأر .

عمرو بن كلثوم : (يدخل عمرو بن كلثوم) .

الا لا يجهلن احد علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
الا لا يظلمن الناس ملك فبئس اليوم يوم الظالمينـــا

« تمت »